الفصل الخامس

القراءة معبر إلى الثقافة

1ـ القراءة وعصر المعلوماتية .

2ـ عالم القراءة وعالم الإنترنت .

3ـ قراءات لتثقيف الأجيال .

القراءة معبر إلى الثقافة

أولا : القراءة وعصر المعلوماتية :

القراءة هى مفتاح التعامل الفعال مع نظام الاتصال الوثائقى ، والخروج من أسر النظام الشفاهى ، حيث تكفل الانفتاح على رصيد الإنتاج الفكرى الثرى ، الحديث منه والمتراكم عبر الأجيال . والقراءة الفعالة المثمرة ليست مجرد مرور العين على الحروف والكلمات والعبارات والجمل والسطور ، أى إنها ليست عملية خطية أو أحادية البعد كما يعتقد البعض ، ولو كانت كذلك لكان من الممكن الاطلاع على كتب كاملة فى ثوان معدودات . وواقع الأمر أن القراءة المثمرة ، التى تفضى إلى حدوث تغير فى البنية المعرفية ، عملية متعددة الأبعاد، تتزامن فيها حركات العين مع عمليات المعالجة والتجهيز التى يمارسها العقل . ومن ثم فإنها تنطوى على أربعة عناصر ، هى : الإدراك ، والاستيعاب ، والاستجابة ، والتمثل ؛ فلكى يحصل القارئ على الرسالة التى تفضى إلى المعلومات فإنه ينبغى أن يتحقق أولا من الكلمات ، وأن يدرك معانيها ، وأن يفسر ويعى ويتذكر ما يقرأ . وقدرة العمل على ترجمة ما تراه العين من رموز إلى رسائل لها مغزاها ، هى التى تتحكم فى سرعة القراءة .

وتختلف أنماط القراءة باختلاف الظروف والدوافع . ونحاول هنا تعرف أنماط القراءة ، ونمهد لذلك بالتحقق من فئات ما يمكن أن يحتاج إليه الإنسان من معلومات ، وأنماط حاجة الباحثين العلميين إلى المعلومات ، كما نلقى نظرة على انعكاس الإنترنت على ممارسة القراءة والبحث عن المعلومات ، حيث ننظر إلى الإنترنت هنا بوصفها قناة للتواصل ومصدرا للمعلومات .

ويمكن تقسيم المعلومات التى نحصل عليها بالقراءة إلى الفئات الأربع التالية كما يراها حشمت قاسم(*) :

(أ) المعلومات النفعية أو الاجتماعية :

وهى المعلومات التى يحتاجها لمواجهة تحديات الحياة اليومية ، كالمعلومات التى تكفل الإحاطة بما لنا من حقوق وما علينا من واجبات .

(ب) المعلومات التثقيفية :

وهى المعلومات التى تنمى ثقافة الفرد وتثريها ، كما توسع مداركه بحيث يصبح قادرا على التكيف مع مجتمعه . ويمكن للإنسان الحصول على هذه المعلومات، بشكل مباشر بالاطلاع على أوعية المعلومات فى الموضوعات التى تستهويه ، وخاصة بالاطلاع على الكتب التمهيدية ومقالات الموسوعات ، وبشكل غير مباشر من خلال القراءة الترويحية .

(جـ) المعلومات المهنية :

وهى المعلومات اللازمة لتمكين الفرد من النهوض بأعبائه المهنية على أحسن وجه . وترتبط هذه المعلومات على نحو مباشر بما يسمى التنمية المهنية ، كما ترتبط أيضا بالبحث العلمى واتخاذ القرارات .

(د) المعلومات التعليمية :

وهى المعلومات التى تشتمل عليها الكتب الدراسية، أو المعلومات اللازمة لتلبية المتطلبات والشروط التعليمية لمعهد معين أو الحصول على شهادة معينة .

كلنا كبشر بحاجة إلى المعلومات ، ونسعى للحصول على المعلومات ، إلا أننا يمكن أن تختلف أنماط حاجتنا إلى المعلومات ، ومن ثم السبل التى نسلكها فى

(*) هذه الدراسة قدمت إلى ندوة (الإنترنت نقلة نوعية فى عالم القراءة) معهد جوته ، المركز الثقافى الألمانى بالتعاون مع وزارة الإعلام ، معرض فرانكفورت الدولى للكتاب 2004م .

الحصول على المعلومات ، تبعا لكثير من العوامل الاجتماعية فى مقدمتها اهتماماتنا التخصيصية ، والتزامتنا الوظيفية .

وهناك أربعة أنماط رئيسية تحكم سعينا للحصول على المعلومات ، وهى : النمط التجارى ، والنمط اليومى ، والنمط الشامل ، والنمط التصفحى .

1 – النمط الجارى :

عادة ما يكون الباحث بحاجة إلى ملاحقة جهود أقرانه فى مجال تخصصه والإحاطة بنتائج هذه الجهود . ويعتمد الباحث فى تلبية هذه الحاجة على عدد محدود جدا من الدوريات الأساسية فى مجال تخصصه ، فضلا عن اعتماده على الاتصالات الشخصية وحضور المؤتمرات . كذلك يعتمد الباحث فى هذا النمط على الكشافات وخدمات الاستخلاص كأدلة لمحتوى الأوعية الأولية وخصوصا الدوريات . ويرتبط هذا النمط بما يسمى الإحاطة الجارية التى تطورت إلى البث الانتقائى للمعلومات .

2 – النمط اليومى :

يحتاج الباحث لإنجاز أعماله اليومية بانتظام إلى معلومات لا غنى عنها ، يمكن التماسها فى نوعيات متعددة من أوعية المعلومات ، يدخل معظمها فى عداد الأوعية المرجعية كالموسوعات ، والمعاجم اللغوية ، وكتب الحقائق والموجزات الإرشادية .. وغيرها .

3– النمط الشامل :

ويرتبط هذا النمط بالشروع فى إجراء بحث جديد ، أو الرغبة فى تأليف كتاب دراسى أو كتاب تمهيدى فى موضوع معين ، أو التحقق من رصيد المعلومات الذى يمكن الاستناد إليه لاتخاذ قرار فى موضوع معين . وعادة ما يحرص الباحث عند التخطيط لبحث جديد على الوقوف على ما انتهت إليه الجهود السابقة فى مجال اهتمامه ؛ حتى يطمئن إلى أن جهده لن يكون تكرارا بلا مبرر لجهود سابقة . ويعتمد

هذا النمط على الإفادة من الكشافات ونشرات المستخلصات وغيرها من أدلة الإنتاج الفكرى ، وكذلك المراجعات العلمية Reviews ، وعادة ما يبدأ بما يسمى فى خدمات المعلومات بالبحث الراجع فى الإنتاج الفكرى .

4 – النمط التصفحى :

وهو نمط لا يعتمد كثيرا على التخطيط أو التحديد المسبق للمعلومات المطلوبة ، إلا أنه غالبا ما يؤدى للحصول على معلومات مفيدة لم تكن فى الحسبان . ويتمثل الشكل التقليدى لهذا النمط فى تجول المستفيدين بين أرفف المكتبات ، والتصفح العرضى لبعض ما يمكن أن يقع بين أيديهم من أوعية المعلومات .

من الممكن تقسيم القراءة وفقا لدوافعها وطرق ممارستها إلى أربعة أنماط رئيسية ، وهى القراءة الترويحية ، والقراءة لأغراض الحصول على المعلومات ، والقراء من أجل الاستيعاب والقراءة النقدية .

1 – القراءة الترويحية :

وهى القراءة بهدف الاسترخاء أو تزجية وقت الفراغ ، أى القراءة التى نلجأ إليها بمحض إرادتنا ، والتى عادة ما نمارسها من أجل الاستمتاع فى الأساس ، وإن كان من الممكن أن نجد المتعة أيضا فى أنماط القراءة الأخرى . وليس هناك فى القراءة الترويحية كثير من القواعد التى ينبغى الالتزام بها ، لأن المتعة هى السمة الغالبة على هذا النمط .

والإنتاج الفكرى الخيالى fiction هو أكثر فئات المواد القرائية تداولا فى القراءة الترويحية . وتحفل الكتب والمجلات بهذا النوع من الإنتاج ، إلا أن هناك من يفضلون أيضا الاسترخاء بصحبة كتب التراجم ، وكتب التاريخ ، والمذكرات الشخصية ، وأدب الرحلات . وتتسم معظم مواد القراءة الترويحية بسهولة الأسلوب التى تكفل سرعة القراءة بوجه عام ، كما يمكن لجمال الأسلوب أن يضفى المزيد من المتعة . ونظرا لأن المحتوى أو الموضوع غالبا ما يكون مباشرا

وواضحا ، فإنه يمكن لكل من العقل والذاكرة العمل دون أى جهد يذكر . كذلك يمكن لبعض النصوص الأدبية أن تشكل تحديا للعقل .

ويحدث فى بعض الأحيان أن يواجه القارئ لفظا لايعرف معناه ، ولا ينبغى أن يتوقف عن القراءة ليهرع إلى أحد المعاجم اللغوية بحثا عن معنى ذلك اللفظ ، كما أنه قد لا يكون فى ظرف يتيح له الوصول إلى مثل هذا المعجم بسهولة ، ومن ثم فإنه يمكن أن يواصل القراءة حتى يصل إلى نهاية الفقرة ، دون أن يدرك معنى اللفظ فى السياق . أما إذا بلغ نهاية الفقرة دون أن يدرك معنى ذلك اللفظ فإن عليه حينئذ البحث عنه فى المعجم اللغوى ، حيث يتيح له الرجوع إلى المعجم فى هذه الحالة تحقيق هدفين فى الوقت نفسه ، أولهما الإلمام الواعى بمضمون النص الذى يقرؤه ، وثانيهما إثراء أو تنمية حصيلته اللفظية .

والقراءة كما نعلم ، وأيا كان هدفها ودافعها ، تسهم فى تنمية الثروة اللغوية ، من المفردات والتراكيب على السواء .

وعلامات القراءة من الأدوات العملية المفيدة ، حيث يتيح استعمالها للقارئ القدرة على استئناف القراءة من حيث انتهى على وجه التحديد ، دون تبديد للوقت بحثا عن الصفحة أو الفقرة التى توقف عندها . ومن الممكن عند استعمال شريحة من الورق أو جذاذة أو بطاقة لهذا الغرض ، تسجيل بعض الملاحظات أو التعليقات أو معانى الألفاظ التى يتم البحث عنها فى المعاجم . ومن شأن هذا الأسلوب المساعدة على تثبيت معانى المفردات فى الذهن ، حيث إننا دائما ما نطلع على هذه المعانى والمفردات كلما فتحنا الكتاب ، ومن ثم فإننا لا ننتهى من قراءة الكتاب إلا وهذه المعانى قد استقرت فى الذاكرة .

والقراءة الترويحية فئة عريضة ينضوى تحتها عدد من الأنماط الفرعية ، كالقراءة من أجل الابتعاد عن واقع معين ، والقراءة من أجل التثقيف وتوسعة الآفاق وتنمية القدرة على التذوق .

2 – القراءة للحصول على المعلومات :

عادة ما ترتبط القراءة للحصول على المعلومات بموقف يتطلب الإجابة عن سؤال معين . وتتفاوت المواقف والأسئلة فى مدى بساطتها أو تعقدها ، حيث تتراوح ما بين البحث فى دليل الهاتف عن رقم معين ، والرجوع إلى أحد المعاجم اللغوية للتأكد من معنى أو هجاء لفظ معين من جهة ، وتتبع الحقائق والمعلومات اللازمة للبحث فى موضوع معين أو اتخاذ قرار معين ، من جهة أخرى .

وتشكل القراءة من أجل الحصول على المعلومات نوعا مميزا من القراءة ، ذلك لأننا بدلا من القراءة المتواصلة عبر الصفحات والفقرات عادة ما نبحث عن حقائق أو معلومات معينة وما لم نكن على دراية على وجه اليقين بأماكن وجود الحقائق أو المعلومات التى نبحث عنها فإننا نلجأ إلى أسلوب التصفح السريع ، حيث تمر العين بسرعة على السطور والفقرات والصفحات بحثا عن المعلومات المطلوبة . وبمجرد أن يقع البصر على هذه المعلومات نبدأ فى ممارسة القراءة الاعتيادية .

والورقة والقلم من الأدوات المصاحبة للقراءة من أجل الحصول على المعلومات ؛ حتى يتسنى لنا تسجيل المعلومات المطلوبة بمجرد العثور عليها فى مذاكرتنا . والمراجعة بعد التسجيل أمر لا غنى عنه للتأكد من تسجيل المعلومات دون أخطاء . وتتوقف السرعة فى الوصول إلى ما يتم البحث عنه من معلومات على مدى توافر المقومات الوظيفية فيما نتعامل معه من أوعية المعلومات ، ومن بين هذه المقومات الوظيفية قوائم المحتويات والكشافات ، وغيرها مما يتيح مفاتيح الوصول السريع الميسر إلى أدق دقائق محتوى أوعية المعلومات .

٣ – القراءة من أجل الاستيعاب :

فضلا عن قراءة الكتب الدراسية استعدادا للامتحان ، تشمل القراءة من أجل التحصيل أو الاستيعاب القراءة لأغراض التفقه فى الدين ، والقراءة لأغراض

الإلمام بمتطلبات الحياة وسبل مواجهتها ، والاطلاع على الصحف اليومية للإحاطة بالأحداث الجارية فى حدود الاهتمام .

وتتيح القراءة من أجل الاستيعاب مجالا فسيحا لاستعمال القدرات العقلية ، كما تكفل استغلال الطاقات الكاملة لعدد من الأساليب القرائية الفعالة ، كالنظرة المبدئية الشاملة لكل أشكاله ، وطرح الأسئلة ، والتحكم فى سرعة القراءة ، ومراجعة ما يتم تحصيله واستيعابه ، واستظهار بعض الحقائق والعبارات .

ويقصد بالنظرة المبدئية الشاملة إلقاء نظرة على ما نحن بصدد الاطلاع عليه قبل قراءته ، أو إلقاء نظرة على ما بأيدينا لكى نقرر ما إذا كان جديرا بالقراءة أم لا . ومن الممكن لإلقاء النظرة المبدئية الشاملة أن يتم فى القراءة الترويحية ، إلا أنه أكثر ارتباطا بالقراءة من أجل الاستيعاب .

وتتخذ النظرة المبدئية الشاملة ثلاثة أشكال :

- التصفح العرضى :

ويتم بسرعة ، وينطوى على النظر إلى المادة القرائية بطريقة تلقائية لمعرفة ما إذا كانت جديرة بمواصلة الاطلاع عليها أم لا . وعادة ما تتم عملية التصفح هذه فى المكتبة عندما يكون القارئ بصدد البحث عن كتاب يحظى باهتمامه ، أو حين يمسك بالصحيفة اليومية يستطلع العناوين الرئيسية ، أو عندما يطلع على صفحة محتويات أحداث أعداد إحدى المجلات .

وحينما يعثر القارئ على كتاب يراه جديرا بالقراءة ، فإنه يمكن أن ينتحى به جانبا على إحدى مناضد الاطلاع بالمكتبة ، أو يقرر استعارته حتى تتاح له فرصة إلقاء نظرة فاحصة عليه . وحينما يصادف القارئ عنوانا فى إحدى الصحف يجتذب اهتمامه إنه عادة ما يتوقف عن التصفح ؛ ليطلع على موضوع ذلك العنوان تفصيلا .

- التصفح المقصود :

عادة ما ينتهى التصفح العرضى إلى ما يسمى بالتصفح العمدى أو المقصود الذى ينطوى على الاطلاع على عناوين الفصول أو أجزاء الفصول ، أو النظر فى أى شكل من أشكال العرض الموجز ، فى مقدمة الكتاب أو فى المستخلص المصاحب للمقالة ، أو الفقرات الاستهلالية أو الفقرات الختامية ؛ من أجل التأكد مما إذا كان الوعاء يشتمل على شىء يدخل فى مجال الاهتمام . ولا يكفى هذا التصفح مدى لإعطاء كثير عن المحتوى الموضوعى للوعاء ، إلا أنه يكفى لإتاحة القدرة على أن يقرر القارئ قراءته أو تنحيته جانبا .

- الإلمام بعناصر الموضوع :

والهدف من الإلمام بعناصر معالجة الموضوع إتاحة القدرة على الحكم على منطق المؤلف فى معالجة موضوع كتابته من حيث تقسيم الموضوع إلى عناصر وترتيب هذه العناصر فيما بينها . ويمكن لهذا الإلمام بعناصر الموضوع أن يساعد على تهيئة الذهن لتلقى المعلومات ، ومن ثم العمل على نحو أكثر فعالية وكفاءة . ويمكن لهذا الإلمام أن يتحقق بالاطلاع على عنوان الكتاب ، وقائمة المحتويات ، والمقدمة ، فضلا عن الاطلاع على عينات من النص وخاصة بدايات الفصول ونهاياتها . أما بالنسبة للمقالات فإنه يمكن أن يتحقق بالاطلاع على العناوين ، والعناوين الفرعية إن وجدت ، والفقرات الاستهلالية ، وعناوين الفقرات ، ثم الفقرات الختامية . ويمكن بالنسبة للمقالات القصيرة التى ترد فقراتها بلا عناوين ، قراءة الجملة الافتتاحية فى كل فقرة لأنها غالبا ما تشتمل على لب الموضوع .

وعادة ما يطرح القارئ بعد إلقاء النظرة المبدئية الشاملة ، على نفسه بعض الأسئلة :

– ما الهدف من قراءة هذا الكتاب أو هذه المقالة ؟

– ماذا يمكن لمؤلف هذا العمل أن يقدم فى هذا السياق ؟

– ما مقدار ما تعرف فعلا عن الموضوع ؟

ويهدف هذا التوقف وطرح مثل هذه الأسئلة إلى تهيئة الذهن ؛ لأن يكون أكثر دراية بما يحتاج إلى العثور عليه أو القيام به أثناء القراءة .

ويفضل فى أثناء القراءة من أجل التحصيل أو الاستيعاب مواصلة طرح الأسئلة، حيث يتوقف القارئ ليتذكر ما استوعبه فعلا ، ويسأل نفسه ما إذا كان قد فهم فعلا ما قرأ ، وإذا صادف فقرات يتبين لها أنها تتناول معلومات يعرفها فعلا ، فإنه يمكن أن يزيد من سرعة القراء ، لتصبح بمعدل التصفح نفسه ، ثم يستمر فى التصفح إلى أن يصل إلى الفقرات أو الأجزاء التى تشتمل على ما هو جديد بالنسبة له .

والقلم الرصاص أداة أساسية فى هذا النمط من القراءة ، حيث يستعمل فى تمييز الفقرات التى تدعو الحاجة لمعاودة الرجوع إليها . وفضلا عن استعماله على هذا النحو فإنه يستخدم أيضا فى تلخيص ما يقرأ فى الهامش ، كما يتبين أيضا أنه يساعد على التركيز .

ولا تنقطع صلة القارئ بما يقرأ بمجرد الانتهاء من القراءة ، حيث ينبغى أن يتفكر فيما قرأ ، وأن يسأل ما إذا كان قد عثر فعلا على ما يريده ، وما إذا كان قد أحاط فعلا بما قرأ . وتعرف هذه العملية بالمراجعة ، ويمكن للقارئ أن يدرك نتيجة للمراجعة ، وهى شكل من أشكال قياس الأداء ، أنه بحاجة لإعادة قراءة بعض الفقرات أو الأجزاء . كذلك يمكن لهذا النمط من القراءة أن ينطوى على حفظ بعض الحقائق أو العبارات عن ظهر قلب . وهنا يصبح تكرار القراءة أكثر من مرة أمرا لا مفر منه .

ويفضل أيضا نطق الكلمات التى يحتاج القارئ لحفظها أثناء القراءة بصوت مسموع ، حيث يكفل ذلك للذاكرة سماع ما ينبغى أن تعيه فضلا عن رؤيته، حيث يساعد هذا التأثير المضاعف فى عملية الاستظهار .

4 – القراءة النقدية :

والقراءة النقدية هى أكثر أنماط القراءة تقدما ، وتنطوى على عمليتين هما الفهم والتقدير . ولا غنى فى هذا النمط عن تلك الأساليب التى عرضنا لها بالنسبة للقراءة لأغراض التحصيل ، كما أنه يتطلب القدرة على تحليل وتقييم ما يسوق المؤلف من حقائق وأفكار .

والقراءة النقدية عنصر أساسى فى نشاط الباحث العلمى ، كما أنها من الأنشطة المألوفة بالنسبة لدارسى الأدب ، والمدرسين فى تقييمهم لأعمال الطلبة، والمهتمين بعرض الكتب ونقدها ، والقائمين على إعداد المراجعات العلمية .

وتتم القراءة النقدية على مرحلتين ، حيث ينبغى للفهم أن يسبق التقدير والتقييم ؛ فلا يمكن للقارئ الناقد أن يربط ما قرأه بما لديه من معلومات وخبرات، لكى تتبين له أوجه القوة ومواطن الضعف فيما يقرأ ، إلا بعد استيعاب ما قرأ . ومن الأسئلة المألوفة التى عادة ما تطرح فى مرحلة التقدير والتقييم :

- ما موقف المؤلف ، وما اتجاهاته ونواحى تحيزه ؟
- ما اتجاهاتنا بالمقارنة باتجاهاته ؟
- هل أثرت القراءة فى اتجاهاتنا ؟
- هل يقدم المؤلف معلوماته وأفكاره بطريقة مناسبة ، أم أنه وقع فى بعض الأخطاء، كأن يكون قد أوجز حيث كان عليه أن يفصل ، أو يكون قد حذف ما لا ينبغى له أن يحذفه ؟
- هل أحسن المؤلف التعبير ؟

إلى آخر ذلك من الأسئلة المتعلقة بالأداء العلمى والأداء اللغوى للمؤلف .

ويمكن للقراءة النقدية أن تتطلب إعادة القراءة بعد طرح مثل هذه الأسئلة ، حيث يمكن لإعادة القراءة أن تكفل للقارئ الناقد الاطمئنان إلى سلامة أدائه فى الاستيعاب والتقييم .

يمكن النظر كما أشرنا إلى الإنترنت فى صورتها الراهنة بوصفها قناة للتواصل ومصدرا للمعلومات . وكقناة للتواصل فإن الإنترنت تكفل مقومات الاتصال الجماهيرى من خلال خدمات البث النصى والسمعى والبصرى ، فضلا عن خدمات الوسائط المتعددة ، كما تكفل أيضا مقومات التواصل بين الأفراد على اختلاف فئاتهم ومشاربهم ، عن طريق البريد الإلكترونى ، ومجموعات الاهتمامات المشتركة ، وغرف " الدردشة " . كذلك تتكفل الإنترنت أيضا بمقومات الاتصال العلمى فى مختلف المجالات التخصصية والمهنية .

وكمصدر للمعلومات ، يسرت الإنترنت إمكانات النشر الإلكترونى إلى حد بعيد ، حيث يحاكى هذا النشر الإلكترونى النشر الورقى أو التقليدى ، ويتفقون عليه فى السرعة واتساع المدى .

وتشمل مخرجات النشر الإلكترونى مختلف الفئات النوعية والوظيفية والتخصصية لأوعية المعلومات .

وفضلا عن الأعمال الأدبية والأعمال الفنية يشمل النشر الإلكترونى الأعمال الموضوعية أو التخصصية ، التى تشمل الكتب على اختلاف مستوياتها وتنوع فئاتها الوظيفية ومجالاتها التخصيصية ، كما يشمل الدوريات على اختلاف مستوياتها ، وكذلك تقارير البحوث ، وأعمال المؤتمرات .

ومن ثم فإن ما يتم نشره عبر الإنترنت يمكن أن يستخدم للأغراض الإعلامية والترويحية والتثقيفية والتعليمية ، فضلا عن الأغراض الإدارية والعلمية . وربما كان العامل الأساسى المؤثر فى التعامل مع ما توفره الإنترنت من مصادر المعلومات

هو مدى قدرة القارئ أو المستفيد على الصمود أمام منفذ التعامل . وهذه القدرة مهما بلغت محدودة بالمقارنة بالقدرة على الصمود فى التعامل مع المصادر التقليدية أو الورقية . ومن ثم فإن الإنترنت قد لا تكون بالقناة المناسبة لأغراض القراءة الترويحية أو القراءة لأغراض تزجية وقت الفراغ ، وكذلك القراءة النقدية التى تتطلب قدرا من التركيز الذى يفتقده القارئ أثناء التعامل مع المنفذ .

وفى مقابل ذلك يمكن للإنترنت أن تستخدم بكفاءة لأغراض القراءة من أجل الاستيعاب ، وكذلك القراءة من أجل الحصول على المعلومات ، حيث يمكن أن توفر للأولى إمكانات التفاعل والتنوع فى طرق العرض التى تثرى العملية التعليمية. وليس أدل على ذلك من فيضان برامج التعلم الذاتى ، المتاحة فى الفضاء المعلوماتى Cyberspace ، هذا فى الوقت الذى تكفل فيه للثانية المرونة والشمول على النحو ، الذى يوفر إمكانة طرق أكثر من باب واحد فى الوقت نفسه ؛ بحثا عن المعلومات المتصلة بموضوع الاهتمام .

كذلك يمكن الاعتماد على الإنترنت فى النمط الشامل فى البحث عن المعلمات حيث توفر الكشافات ونشرات المستخلصات وغيرها من مفاتيح الوصول إلى أوعية المعلومات ، التى تفيد فى إجراء البحث الراجع فى الإنتاج الفكرى . يضاف إلى ذلك إمكانة استرجاع النصوص الكاملة للوثائق فى الوقت نفسه ، كذلك تفيد الإنترنت فى النمط اليومى من خلال ما تتيحه من الأوعية المرجعية ، فضلا عن إمكانة الرد على استفسارات المستفيدين . أما بالنسبة للنمط الجارى فإنها تعد قناة مثالية حيث توفر مقومات الإحاطة الجارية ، فضلا عن البث الانتقائى للمعلومات الذى يكفل للمستفيد القدرة على الإلمام بكل ما يستجد فى مجال تخصصه . كذلك تخدم الإنترنت النمط التصفحى بما توفره من برمجيات التصفح ، التى تكشف للقارئ عن معلومات لم يكن يتوقعها .

ربما كان التساؤل المحورى الذى يفرض نفسه فى هذا السياق هو ما إذا كان من الممكن للنشر الإلكترونى بوجه عام والإنترنت بوجه خاص أن يؤثر سلبا على التعامل مع الكتاب الورقى . ونبادر بالقول بأننا لا ينبغى أن نتوقع تنافسا أو تنافرا بين المصادر الإلكترونية والمصادر الورقية ، وإنما ينبغى ، على ضوء الخبرات المكتسبة ، أن نتوقع تعايشا وعلاقة تكاملية بين الشكلين ، فى نظام هجين . ويمكن لهذا التعايش أن يمتد لثلاثة أجيال قادمة وفقا لأغلب التقديرات .

ويمكن لدور الكتاب الورقى أن يتراجع تدريجيا فى غضون هذه الأجيال الثلاثة، لصالح الكتاب الإلكترونى الذى يحاكى الكتاب الورقى فى طواعيته وسهولة التعامل معه ، ويتفوق عليه فى مدى سعته ومدى مرونة وسرعة البحث فيه .

ثانيا : عالم القراءة و عالم الإنترنت :

القراءة من أهم وسائل اكتساب المعرفة ، والحصول على المعلومات من مختلف أنواع المصادر ، والقراءة والتعود عليها ضرورة أساسية لمن ينشد التحصيل الدراسى ولازمة للتكوين الثقافى والنمو الذاتى ، فهى توسع دائرة خبراته ، وتفتح أبواب الثقافة ، وتحقق المتعة والتسلية ، وتهذب مقاييس التذوق ، وتساعد فى حل المشكلات ، وتسهم فى الإعداد العلمى وفى التوافق الشخصى والاجتماعى . والقراءة لازمة للإنسان دون النظر إلى المرحلة السنية التى يعيش فيها . وهى فى جملة واحدة : عملية فكرية عقلية يتفاعل القارئ معها ، ويفهم ما يقرأ أو ينقده ويستخدمه فى وضع الحلول المتنوعة لما يواجهه من مشكلات والانتفاع بها فى مواقف الحياة .

إنه على الرغم من تطور تكنولوجيا الاتصال وتنوعها وقدرتها على بث المعلومات ، غير أن القراءة لا تزال هى أساس اكتساب المعرفة والثقافة ، وأنها الأساس فى تكوين الشخصية وإتقان اللغات واكتساب مهارات التعلم ، وأن حرية

القراءة حق لكل إنسان لإشباع احتياجاته وميوله وإثراء خبراته غير المباشرة ، وإمتاعه وتسليته ، وتهذيب سلوكه الاجتماعى ، كما أن القراءة مطلب أساسى من متطلبات العصر الحالى لاكتساب خبرات جديدة ، ومعرفة حديثة متجددة ، بل إنها تطوير لقدرات القارئ الفعلية و لأنماط التفكير ولأنساقه الفكرية وتنمية رصيده الخبرى ، بل إن القراءة فوق ذلك كله عملية يتم خلالها إعادة بناء النص بصورة فكرية من خلال التواصل الفكرى والوجدانى و الثقافى بين القارئ وكاتب النص، فهى عملية تفكيرية هدفها الخلق والإبداع .

ومفتاح النجاح فى القراءة يكمن فى مدى امتلاك القارئ للثقافة التى تمكنه من التعامل بوعى منفتح ورؤية واسعة مع المحتوى ؛ كى يتمكن من تصنيع المعانى المتوافرة فى النص ، وإخراجها فى وضعيات جديدة متميزة ، كما أن القارئ الجيد هو الذى يتمكن من استخدام المادة المطبوعة فى توسيع مداركه ونظرته إلى العالم . وبناء على ذلك ، فإن المتعلم المصرى فى طريقه للانتقال من مفهوم القراءة للاستيعاب إلى القراءة للنقد وإبداء الرأى و التمييز والتفسير والمقارنة والربط والتذوق ؛ توطئة للقراءة للإبداع فى عصر التقنيات المتقدمة والاتصالات السريعة وعصر المعلومات.

إن تبنى مفهوم القراءة خارج المقرر الدراسى سمة من سمات مجتمع التعلم الذى تسعى إلى تحقيقه مصر ، والذى ينهض على فكرة إعادة النظر فى مفهوم التعليم المدرسى بما يساعد على أن تتخطى عمليات التعليم و التعلم أسوار المدرسة ، وبحيث يصبح المجتمع بكل هيئاته ومؤسساته بيئات للتعلم ، وتحرير المتعلم القارئ من قيود الزمان والمكان والموضوع لتصبح الحياة كتابا مفتوحا ومواقف ثرية للقراءة والتعلم الذاتى . وما تسعى مصر إلى أن تصل إليه من تعليمها هو مجموعة من التحولات :

- التحول من ثقافة الحد الأدنى إلى ثقافة الإتقان و الجودة .
- التحول من ثقافة الاجترار والتكرار إلى ثقافة الإبداع والابتكار .

- التحول من ثقافة التسليم إلى ثقافة التقويم .
- التحول من ثقافة القهر إلى ثقافة المشاركة .
- التحول من ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الإنتاج .
- التحول من أسلوب القفز إلى النواتج إلى أسلوب معاناة العمليات .
- التحول من الاعتماد على الآخر إلى الاعتماد على الذات .
- التحول من التعليم محدود الأمد إلى التعلم مدى الحياة .

وفى سبيل تحقيق ذلك ، لابد من الإفادة من معطيات تكنولوجيا المعلومات والتقنيات التعليمية الحديثة والمتقدمة المتطورة ، فى إحداث تغييرات جذرية و نوعية على مجمل بيئة التعلم بما يؤدى إلى نمط جديد من القراءة الناقدة والإبداعية و نمط جديد من التعليم يتسم بتعدد الوسائط التعليمية وتزامنها ، وتغيير الذهنية وأساليب التعليم و التعلم وتعددها ؛ مما يفضى إلى إثراء البيئة التعليمية التعلمية . ومما يحقق المجتمع المعلم المتعلم ، والذى يتسم بزيادة قابلية أفراده ودافعيتهم للتعلم وللمزيد منه ، وتنشيط دور المتعلم فى عمليات التعليم والتعلم من خلال قراءاته المتنوعة وتفاعله الحى والواعى مع مصادر التعلم المتعددة من ثقافة الورق إلى ثقافة الكمبيوتر والإنترنت و المشاركة الإيجابية التفاعلية بين المتعلم ومصادر التعلم ، وتزويد المتعلم بمهارات التعلم الذاتى وإطلاق قواه الإبداعية فى التعامل مع كل ما يحيط به ، والانفتاح على عالم الإنترنت بمعارفه المتدفقة المتجددة .

شبكة الإنترنت من أهم التكنولوجيات الحديثة التى انتشرت بشكل مذهل فى جميع أنحاء العالم ، إنها ثمرة اندماج الحاسبات الآلية والاتصالات . والإنترنت مجموعة ضخمة من شبكات الاتصال المرتبطة بعضها بالبعض الآخر ، وهذه المجموعة تنمو ذاتيا بقدر ما يضاف إليها من شبكات وحاسبات عن طريق اتفاقيات تحكم عملية المشاركة فى تبادل المعلومات وكيفية الاتصال والتواصل بين هذه الكمبيوترات . وأصبح الإنترنت يكسر حواجز الزمان والمكان وجعل العالم

قرية صغيرة مسامية الجدران ، يستطيع كل فرد فيها معرفة ما يدور لدى الآخرين ، وأصبحت المعلومات مشاعا بين الجميع . وفتح الإنترنت تطبيقات تربوية متنوعة ، منها: التعلم التعاونى ، والفصول الدراسية عبر المكتبات الرقمية ، والتعلم عن بعد، والتدريب المستمر على كل ما هو جديد فى المهن المختلفة لضمان التعليم المستمر ، ونشر المنتج المعلوماتى فى جميع التخصصات ، وأدى تغلغلها واتساع مداها إلى وصفها بشبكة الشبكات . ويتيح الإنترنت كثيرا من الخدمات ، مثل : البريد الإلكترونى ، ولوحات النشرات ، ونقل الملفات وتصفح مصادر المعلومات والاتصالات السريعة البصرية .

إن ما يهمنا فى علاقة القراءة بالإنترنت هو أن :

- المكتبات أتاحت فهارسها على الخط المباشر ، وارتبطت بشبكات معلومات محلية تمهيدا لارتباطها بالإنترنت . ومن ثم أدى ارتباط هذه الشبكات المحلية بالإنترنت إلى جعل فهارس المكتبات فى متناول المستفيدين من الإنترنت .
- كما بدأت مرافق المعلومات الببليوجرافية الرئيسة ترتبط بالإنترنت ، مثل : Rlin وأيضا بعض مؤسسات خدمات الاسترجاع على الخط المباشر مثل Dialog مضيفة إلى مصادرها الآلاف من مراصد البيانات وبنوك المعلومات.
- وليست قراءة الببليوجرافية هو غاية ما ينتظره المستفيد من الإنترنت ، حيث يحتاج أيضا إلى قراءة مصادر المعلومات نفسها فى شكلها الأصلى أو فى أى شكل بديل.
- إن لشبكة الإنترنت تأثيرا على النشر حيث توفر مقومات النشر الإلكترونى . وهناك من يرون أن شبكة الإنترنت ليست مجرد مصدر معلومات ، وإنما هى وسيلة للنشر والاطلاع لدى الشباب . ولعل ذلك قد يؤثر سلبا على سوق النشر فى عالم الثقافة الورقية .

- إن الإنترنت يساعد الباحثين على القراءة السريعة و التحصيل السريع للمعلومات ويزودهم بأكثر من رأى فى المسألة الواحدة ويوفر لهم ممارسة القراءة الناقدة والإبداعية ، من خلال خدمة معلومات متخصصة وحديثة ومتجددة دائما .

- والإنترنت يقدم أيضا قراءة تثقيفية مواكبة لمفاهيم العصر حيث يحقق التواصل مع المكتبات ومراكز المعلومات ، وييسر الحصول على المعلومات من مصادرها ، سواء كانت ورقية أو غير ورقية وفى جميع مناحى الحياة .

إن القراءة فى مصر عبر الإنترنت تتميز بما يلى :

- إن مصر تسمح بتدفق المعلومات إلى أبنائها دون هيمنة أو تحكم أو رقابة كما هو شائع فى دول عربية كثيرة ؛ الأمر الذى يفتح الطريق أمام القراءة للباحثين والقراءة للتثاقف والقراءة للنقد والقراءة للإبداع ، يضاف إلى ذلك أن مصر تبث برامج تنافسية للجمهور ، ولها قنواتها الفضائية الخاصة بها .

- الشباب المصرى يتمكن من قراءة المعلومات المتدفقة على شبكة الإنترنت وفى الوقت ذاته يتمتع بخصائص الإنترنت التفاعلية مع شباب من ثقافات متنوعة .

- وتعد مصر من أكثر الدول ليبرالية فى التعامل مع شبكة الإنترنت حيث يتمتع الجمهور بخدمات الإنترنت نفسها التى توجد فى معظم الدول الغربية دون رقابة أو قيود لأنها حريصة على تفعيل الأجندة الديمقراطية ، وتحرير الإمكانات الكاملة لمجتمع المدنى ، ولأن استقبال المعلومات ونقلها عبر الإنترنت يتكامل مع الحق فى حرية التعبير ، ولأن صون حرية التعبير يعد أساسا فى تنمية البنية التحتية المعلوماتية ، ولأن الإنترنت يحقق للأفراد الحق فى إرسال المعلومات وقراءتها واستقبالها دون أن يحددوا هويتهم ، ولأن القراءة عبر الإنترنت تلعب دورا تثقيفيا فالقراءة ليست ترفا أو امتيازا مقصورا على فئة دون فئة من أفراد المجتمع ، بل إن القراءة أصبحت للجميع.

- إن تدريب المتعلمين على استخدام الإنترنت فى القراءة و الاطلاع يساعد على فاعلية نظام التعليم فى المستقبل ، حيث تصبح لدى المتعلم القدرة على تطوير الذات العارفة ودفعها نحو البحث والاستقصاء عن طريق مصادر جديدة ومتعددة للمعرفة ، ومن خلال الاستثمار الأمثل لما تفرزه التكنولوجيا الحديثة من تقنيات ومبتكرات وأدوات التعليم الإلكترونى وعلى رأسها عالم الإنترنت بغية إثراء وتفعيل عمليات التعليم والتعلم .

- والإنترنت يرفد الطالب الجامعى ويغذيه بفكر متعدد دائما ، ولأن المعرفة قوة فمن يعرف أكثر يتقدم و يسيطر ، ونحن فى عالم تتفاعل فيه ثورات علمية تتدفق من خلالها المعلومات وتتضاعف المعارف . والطالب الجامعى معنى بالقراءة فى مجال تخصصه الأكاديمى ، ومعنى بالقراءة لإجراء البحوث القصيرة ، ومعنى بالقراءة لتثقيف نفسه فى إطار ما يتطلبه العصر الحاضر من معلومات وقيم ومهارات وأسلوب حياة ، و لهذا كله فإن مكتبات الجامعات المصرية مرتبطة بشبكات الإنترنت العالمية .

أما المعايير العالمية للقراءة عبر الإنترنت ، فقد تحددت بما يلى :

يقرأ التلاميذ المعلومات المتاحة سواء من المصادر التقليدية أو غير التقليدية من خلال المواقع الإلكترونية Websites على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ، ومن ثم مهارات التعامل مع النصوص .

ويمكن تفصيل ذلك كما يلى :

المستوى المعيارى للقراءة عبر الإنترنت:

يستخدم التلميذ مهارات القراءة والكتابة من خلال الكمبيوتر واستراتيجيات القراءة والكتابة لفهم النصوص وتفسيرها .

1 – المؤشرات فى الفترة (رياض الأطفال – الصف الثانى) :

(أ) يفهم الفكرة الرئيسة فى النصوص المختلفة التى يقرأها أو يشاهدها ، من خلال شبكة المعلومات (أفلام كارتون ، صور مرئية ، أفلام) .

(ب) يستخدم استراتيجيات التوقع لمعرفة محتوى النص والغرض منه .

(جـ) يتعرف السمات الرئيسة للنصوص المختلفة الموجودة فى شبكة المعلومات الدولية .

2 – المؤشرات فى الصفوف من (الثالث – الخامس) :

(أ) يفهم الأساليب والتقنيات المختلفة المستخدمة لتوضيح النص ، من خلال شبكة المعلومات مثل : (التصغير و التكبير ، التعبير الصوتى عن النص ورؤيته ، عرض أفلام توضيحية لما يحتويه النص) .

(ب) يفهم المغزى والمراد من استخدام رموز معينة فى النصوص المعروضة على شبكة المعلومات مثل أسماء المواقع الالكترونية ورموزها Google & yahoo ، ويفسرها ، وكذلك رموز العمليات المختلفة ومدلولاتها مثل : login الدخول إلى الشبكة ، logout الخروج من الشبكة .

3 – المؤشرات فى الصفوف من (السادس – الثامن) :

(أ) يفهم الأغراض المختلفة للنصوص المشاهدة عبر الإنترنت .

(ب) يستخدم معايير يحددها مسبقا للحكم على النصوص التى يقرأها عبر الإنترنت.

(جـ) يفهم كيف تساعد الرموز ، الأصوات ، المؤثرات ، الرسوم التوضيحية ، الأفلام ، الموسيقى ، وغيرها فى تواصل القارئ عبر الإنترنت مع النص المقروء .

(د) يفهم أن النصوص المقروءة عبر شبكة المعلومات ليست موجهة لكل الفئات ، ولكن توجه بعض النصوص المقروءة لفئات خاصة دون غيرها مثل : (السلع الموجهة للإعلان والبيع قد توجه النصوص إلى من هم دون العشرين ، وأحيانا أخرى لمن هم فوق الخمسين ، أو توجه لجنس دون الآخر) .

4 – المؤشرات فى الصفوف من (التاسع – الثانى عشر) :

(أ) يستخدم استراتيجيات مختلفة لتفسير النصوص المقروءة عبر الإنترنت ، مثل : (التلخيص والاستنتاج والتعميم والاستعانة بالصور والمعلومات لدعم وجهة نظر بعينها) .

(ب) يستخدم معايير مختلفة للحكم على النص (الوضوح ، الدقة ، الفاعلية ، عدم التحيز ، الاقتراب من الحقائق) ؛ للحكم على الوثائق و المعلومات المتاحة عبر الإنترنت .

(جـ) يفهم تأثير النصوص المتاحة عبر الإنترنت على القارئين ذوى خلفيات معرفية متباينة من حيث : (السن ، الجنس ، النوع ، الجنسية ، الدين)؛ فالنصوص فى الإنترنت تخاطب قاعدة عريضة من الأفراد .

(د) يفهم التحامل والتحيز الذى قد يوجد فى بعض النصوص المقروءة عبر الإنترنت .

وأما مطالب القراءة فى عصر الإنترنت فهى تتلخص فيما يلى :

تعددت مصادر المعرفة فى إثراء و تفعيل عمليات التعلم ؛ ذلك أن نظام التعليم الفعال هو الذى تصبح لديه القدرة على تطوير الذات العارفة ودفعها نحو البحث و الاستقصاء عن طريق مصادر جديدة ومتعددة للمعرفة من خلال الاستثمار الأمثل لما تفرزه التكنولوجيا الحديثة من تقنيات ومبتكرات وأدوات التعلم الإلكترونية.

و لإثراء أنشطة القراءة فى عصر الإنترنت ، فإنه يتوجب علينا :

- عدم الاقتصارعلى الكتاب المدرسى باعتباره مصدرا وحيدا للقراءة والتعلم والمعرفة ، بل يتم التوجيه بشكل متزايد نحو تزويد الطلاب بالأدوات التعليمية والتكنولوجية الجديدة متعددة الوسائط وتوفير أعداد كافية من أجهزة الكمبيوتر، وبالقدر الذى يصبح معه استخدام هذه الأجهزة جزءا من عمليات القراءة خارج المقرر الدراسى .
- الاستمرار فى تزويد المدارس بأعداد كافية من أجهزة الكمبيوتر ، وبالقدر الذى يصبح معه استخدام هذه الأجهزة جزءا لا يتجزأ من عمليات التعليم والتعلم.
- تطوير نظم التقويم وأساليبه بما يتناسب مع دمج التكنولوجيا الحديثة ومصادر التعلم المتعددة والإنترنت فى عمليات التعليم والتعلم .
- تقديم خدمة الإنترنت إلى المدارس وإلى منازل الطلاب نظير مقابل مادى يمكن أن تتحمله الأسرة المصرية ، وحتى نحقق مبدأ تكافؤ الفرص والحد من الفروق التى تنشأ بين من يملكون القدرة على اقتناء أدوات التعلم الإلكترونى ومن لا يملكون ، وكذلك تدريب المعلمين على الأدوار الجديدة التى يفرضها الاستخدام الكثيف للمصادر المتنوعة للمعرفة فى دروس القراءة داخل المكتبة المدرسية وداخل الفصل الدراسى ، بل فى عمليات التعليم والتعلم .
- توفير فرص الانفتاح العالمى أمام الشباب على مصادر المعرفة بزيادة حجم وسعة وتأمين شبكات الإنترنت ، وإنشاء بنية للاتصال بشبكة الإنترنت العالمية ،

وإنشاء صفحات إلكترونية للقراءة تتنوع بحسب المراحل العمرية للقراء وميولهم القرائية ، مع الاهتمام بالقراءات العلمية وتاريخ العلم والعلماء والاكتشافات العلمية الحديثة على المستوى الدولى ، ومفاهيم السلام وحقوق الإنسان واحترام ثقافات الشعوب ، والديمقراطية ، والحرية ، وآراء متنوعة ومبرهنة حول الأحداث الجارية والإحصاءات الحديثة حول الترتيبات الاجتماعية للسكان على المستويات القطرية والقومية والدولية والأنشطة التى تميز كل دولة عن غيرها ، من حيث : الأعمال والمهن فى الزراعة والصناعة و التجارة ، وكذلك حضارات الشعوب وثقافاتهم مادية وغير مادية .

- نشر الأجهزة و المستحدثات التكنولوجية ، وخاصة الكمبيوتر فى أماكن تجمع الشباب و الأطفال مثل : المدارس و الجامعات و النوادى و الساحات الشعبية والمكتبات العامة والمدرسية و الأماكن السياحية و الترفيهية والأسواق ومحطات البنزين والمواصلات العامة والسيارات والقطارات والمترو والمطارات ومراكز الأحزاب السياسية والنقابات المهنية ومراكز التعليم عن بعد ، وتشغيل قوافل التكنولوجيا فى المناطق المعزولة والنائية والمحرومة ثقافيا .

- نشر ثقافة الإنترنت عبر وسائل الإعلام المتنوعة وإنشاء المكتبة الإلكترونية لجميع المؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية على المستويات المحلية والقومية والدولية ، مع تعميم فكرة القاموس المرئى لذوى الاحتياجات الخاصة من الصم والبكم .

- توسيع مشروع التعليم الإلكترونى الذى أنشأته وزارة التربية و التعليم المصرية عام 2001 لتوفير خدمة تعليمية متميزة ، وتنويع مصادر المعرفة ، وتفعيل مبدأ التعلم الذاتى وإتاحة الفرصة أمام الطالب المصرى لإجراء حوارات تعليمية مع أقرانه داخل الوطن وخارجه وتيسير نشر الأعمال التعليمية المتميزة للطلاب أو المعلمين أو المدارس ، وتدعيم توسيع مشروع الحكومة الإلكترونية بهدف تكوين

قاعدة بيانات ذات تقنية متقدمة فى إطار التعليم تحصر البيانات والمعلومات الخاصة بالعملية التعليمية ، ودعم عملية صناعة اتخاذ القرار التعليمى .

- وضع أنشطة مهرجان القراءة للجميع على الإنترنت بحيث يتضمن الموقع مكتبات الأطفال المشاركة فى المهرجان ومواقعها ومشتملاتها وأعمالها والدراسات العلمية التى تناولت المهرجان فى كليات الآداب والتربية ومراكز البحوث والندوات والمؤتمرات ، شريطة تزويد المكتبات بأجهزة كمبيوتر كافية متصلة بالإنترنت ، مع تدريب الأطفال المشاركين فى المهرجان على استعمال الإنترنت .
- بناء معايير قومية للقراءة عبر الإنترنت ، مع مراعاة وضع المؤشرات الخاصة حسب المستويات العمرية للقراءة مع الاسترشاد بالمعايير العلمية العالمية للقراءة عبر الإنترنت ، حتى نجعل كل ما هو عالمى لخدمة كل ما هو قومى ، حتى نفكر عالميا ونطبق محليا .

ثالثا : قراءات لتثقيف الأجيال :

1 – أم الحضارات وعبقرية الأجداد :

قراءة تاريخ مصر وحضارتها فرض عين وواجب وطنى مقدس لاستيعاب عبقرية الأجداد وإبهار العالم الحديث بإنجازاتنا فى شتى مجالات الحياة الفكرية والمادية ، وتأسيس الحضارات الإنسانية وتقديم نماذج رائعة من الفكر الإنسانى تأكيدا لخير البشرية ومقاومة لشرور الإنسان إرضاء للإله ، وإيمانا بيوم البعث والحساب .

إن ما كتب عن تاريخ مصر الفرعونية وحضارة شعبها بأقلام مصرية جد ضئيل ، إذا قورن بما تفيض به وتنشره مكتبات أجنبية عن مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

من هنا كان ترحيبنا بثلاثية مختار السويفى الأديب والمفكر والمؤرخ ، عاشق تاريخ مصر وحضارتها وآثارها الخالدة ، حيث كتابته السهلة الممتعة التى تكشف عن ثقافة واسعة وقدرة وموضوعية فى دحض المغالطات التاريخية وتجلية العبقرية المصرية ليصبح أحد عاشقى مصر ومؤرخيها الأدباء مثل : كمال الملاخ وزاهى حواس ونعمات فؤاد وإسحاق عبيد ، وجاب الله على جاب الله .

إن قراءة متأنية لثلاثية أم الحضارات تدحض هذيان الصهاينة الذين ينسبون الأهرام إلى مخلوقات من قارة تسمى «أطلانتس» أو إلى اليهود ، كما تدحض مزاعم مخرجى السينما ذوى الانتماء الصهيونى الذين غالوا فى تصوير مظاهر السخرة والإذلال التى مارسها كما يزعمون فراعين مصر فى سبيل تشييد عمائرهم حين كشف السويفى أن هؤلاء المصريين كانوا يتمتعون بالرعاية الطبية ، كما كشفت عن ذلك هياكلهم العظمية ، وتناول المرأة المصرية باعتبارها سيدة العالم القديم ، حيث أنزلها أجدادنا المصريون منزلة خاصة تتسم بالتقدير فى دورها الدينى و الدنيوى ، ورقتها وجمالها وبما تمتعت به من حقوق فهى ترث الأرض و المنزل ، وتتصرف فيما تملك وإدارتها ، وحقها فى إقامة الدعوى فى المحاكم وعقد الملكية ، وبلوغها منصب رئيس الأطباء ومنصب الوزارة فى الأسرة السادسة .

ثم أوضح السويفى مكانة الجيش فى مصر القديمة ، حيث سلطان مصر قد شمل سوريا و فلسطين منذ الأسرة الأولى ، وحيث سافر (ونى) من الأسرة السادسة على رأس جيش إلى فلسطين ولم يحتمل تسلل قوم غرباء إلى تلك البقاع ، كما تفجرت فى نفوس المصريين – إثر احتلال الهكسوس – روح الحرب والكفاح واشتعال الوطنية وحب التضحية فى سبيل مصر ، ودور المرأة فى التحرير ، حيث استعرضت الجنود وقمعت الثورة .

وأوضحت ثلاثية أم الحضارات أن مصر كونت إمبراطورية امتدت من أعالى الفرات حتى الشلال الرابع فى الجنوب ، وتدفقت على مصر الجزى وعروض التجارة ، فنعمت بثراء ورخاء ، وحيث عمد ملوك الدولة الحديثة إلى تقديم القرابين والهبات ، وأقاموا العمائر و المنشآت فكانت أن حظيت بتقدم العمران وتقدم الفن واستباب الأمن . وبلغ الطب بما له من جذور فى أرض مصر منزلة عالية بين جيرانها من أقاليم آسيا ، حتى سعى ملوك الحيثيين إلى تلمس العلاج عند أطباء مصر ، كما ذاعت هندسة وعمارة الأهرام والمعابد وتأسيس المدن ، وحفر الأنفاق ، وبناء القصور ، وهندسة التصميم النظرى ودقة التنفيذ ، وحسن الإدارة ومؤسسات الحكم وإدارة شئون البلاد .

وأثبتت ثلاثية أم الحضارات رقى الأدب المصرى القديم حيث ظهر أدب الرحلات ، والأدب التعليمى ، والأدب السياسى ، والأدب الدينى الذى تميز بقوة الملاحظة والتأمل . وعرض نماذج من الأدب الراقى مثل قصة الملاح الغريق ، وسنوهى وما تضمنه من حبه لوطنه مصر رغم ما نعم به فى سوريا من سلطان وثراء، وحيث أصر على أن يدفن فى مصر . ثم عرضت الثلاثية معرفة المصريين القدماء للأبراج الفلكية ، وهم الذين أطلقوا عليها أسماءها التى لا تزال تعرف بها ، كما تغنى المصرى المحب منذ آلاف السنين على أنغام الناى والقيثارة والأرغول والطنبور والدف وآلات الإيقاع التى أبدعوها لإضفاء البهجة والمرح على حياتهم المستقرة .

إن أهم ما يميز أم الحضارات جذورها الممتدة فى أغوار التاريخ ، وأنها لا تتسم بمجرد الأصالة و العراقة فحسب ، بل بامتدادها الزمنى وتواصلها الفكرى منذ الماضى البعيد حتى الآن . إنها حضارة شعب لا حضارة حاكم ، فهى ليست حضارة فرعونية بل حضارة مصرية ، فإن كان ملوكها الفراعنة قد وجهوا الأمور سياسيا

واقتصاديا وعمرانيا فإنهم حققوا تلك الحضارة الفريدة بأيدى كل المصريين . إنها إبداع شعب بكامل فئاته وطوائفه حكاما ومحكومين ، فلاحين وعمال وموظفين ومفكرين وفنانين ، والحضارة المصرية لاتزال تلهب خيال الناس شرقا وغربا ، حيث أقبل عليها العلماء والباحثون ينقبون وينشرون ويدرسون ، وتلك الثلاثية ثلاثية أم الحضارات دعوة لانشغال طلابنا فى مدارسنا وجامعاتنا بها ، وتوظيف كتاب المسرح ومخرجى السينما والتلفاز لها ؛ ليقدموا تاريخ مصر أم الحضارات للإنسانية فى عالم بلا هوية.

٢ – روائع الأدب العالمى فى كبسولة :

خمس وأربعون رواية من الآداب العالمية انتظمتها سلسلة (روائع الأدب العالمى فى كبسولة) ، مقدمة للناشئة و الشباب فى خمسة أجزاء . إبداع من إبداعات المفكر الأديب والكاتب المصرى مختار السويفى ، هى سلسلة من الثقافة العالمية الرفيعة ، كان مولدها فى مجلة الشباب التى تصدرها مؤسسة الأهرام العامرة ، وعلى يدى رئيس تحريرها الكاتب والأديب الصحفى الأريب عبد الوهاب مطاوع ، حيث طلب من السويفى عرض الأعمال الأدبية العالمية التى تقدم باللغات الأجنبية فى مدارسنا وجامعاتنا ، مبسطة بلغتنا العربية الجميلة ، ولتكون عونا لطالبى العلم فى استيعاب تلك الأعمال الأدبية وتفهم نصوصها ومراميها ، وأسفرت تلك التجربة عن نتيجة تجاوزت أهدافها ، حيث أصبحت (روائع الأدب العالمى فى كبسولة) من المواد التحريرية التى يقبل عليها قراء (مجلة الشباب) على مختلف أعمارهم وأعمالهم ، بالإضافة إلى جماهير الطلاب الذين نشرت من أجلهم .
فكانت فكرة تجميع هذه الأعمال الأدبية وتقديمها فى سلسلة ، توسيعا لدائرة المستفيدين من قراء الأدب العالمى المترجم المبسط الهادف الموجز إيجازا قد يغنيه عن

قراءة الأعمال الأدبية فى أصولها الكاملة ، وهو فى الوقت ذاته دعوة لمن يريد الانفتاح على هذه الإبداعات فى أصولها وبلغاتها .

ولعل مما يغرى الشباب بالقراءة ويدفعهم إليها أمرين : الأول أن معيار اختيار الأعمال الأدبية العالمية التى تضمنتها السلسلة هو الشهرة العالمية والذيوع لمؤلفيها من ناحية ، ولتلك الأعمال الأدبية العالمية من جهة أخرى . أما الأمر الثانى فهو أن مختار السويفى صاحب تلك الخماسية قدم لكل رواية من هذه الروايات العالمية بحديث عن حياة من أبدعها ومسيرة كفاحه على درب الشهرة، وأهم أعماله الأدبية التى حققت له التربع على القمة والمكانة الأدبية التى وصل إليها ، وسير الأعمال والأدباء آلية لتشكيل الشباب المبدع .

لقد آمن مختار السويفى أن تقديم روائع الأدب العالمى للشباب رسالة واجبة غايتها القراءة خارج المقررات الدراسية ، وتنمية الميول القرائية و الأدبية ، والسمو بالقارئ من إطار المحلية إلى الانفتاح على الثقافة العالمية فى عصر القرية الكونية الصغيرة مسامية الجدران ، من خلال معايشة روائع الأدب العالمى فى كبسولة ، تيسيرا للشباب للإلمام بمعظم الأعمال الشهيرة التى سطرتها أقلام أدباء عالميين قدماء ومحدثين من مختلف الدول المنتشرة على خريطة العالم ، وجاء منهج مختار السويفى متسقا مع رسالته، حيث قدم روائع الأدب العالمى مبسطة لغة وموضوعا، تبسيطا لا يخل بموضوع العمل الأدبى ، ينشد القيم السامية والعبرة الخالدة ، يحفظ لكل رواية أحداثها و شخوصها ، ويحافظ لكل أديب على بصمته الأدبية ، تراكيبه وأنماط جمله وأساليبه ، وقبلها توجهاته واتجاهاته وغايته التى يرمى إليها من عمله الإبداعى .

إن هذه القصص و الروايات الشهيرة التى يزخر بها التراث الإنسانى من الأدب العلمى ركائز للثقافة العامة يتميز بها قراء الأدب ومحبوه مهما اختلفت

جنسياتهم ومواقع أوطانهم على البسيطة وفى أرجاء المعمورة ، ورغم مرور مئات السنوات على مولدها إلا أنها لاتزال حية ، تنبض وتتنفس وتتبختر على خشبات المسرح وشاشات السينما ومسلسلات التلفاز ؛ لأنها من الأدب الخالد الذى يحتضن قيما وعبرا ومثلا عليا وحكايات وشخصيات يستلهم منها الإنسان حكمة الحياة ، وقضى معها وبها وقتا حافلا بالمتعة والسرور والبهجة والحبور ، يسهم فى تخفيف متاعب الحياة اليومية ومسئولياتها الجسام .

ويحسب لسلسلة (روائع الأدب العالمى فى كبسولة) عدة أمور ؛ أولها : بيان مسارات التأثير والتأثر بين الكتاب والمبدعين ، فتلك قصة حول ملاح مصرى قديم غرقت سفينته ونجا وحده ، وعاش فى جزيرة منعزلة ، وحصل على كنز ثمين ، ثم عاد إلى وطنه.

وانتقلت هذه القصة إلى أعمال أدبية مثل : قصة (جزيرة الكنز) للأديب الإنجليزى روبرت ستيفنسون ، وقصة (الكونت دى مونت كريستو) للفرنسى ألكسندر دوماس ، وقصة (روبنسون كروزو) للإسبانى دانييل ديفو . وثانيها أنه قدم عرضا وتبسيطا لكتاب (الشيخان) لعميد الأدب العربى طه حسين والذى قدم أبا بكر وعمر رحمهما الله مثالين لأعظم الرجال على مر العصور ، ومن هذا المعنى قدم عرضا وتبسيطا لمسرحية (رجل لكل العصور) للإنجليزى روبرت بولت التى تحكى قصة سير توماس مور رجل القانون الذى يتسم بالعدل والنظام والنقاء والتضحية ، وتلك نماذج القدوة والمثل للشباب ، وثالثها أن هذه السلسلة عرضت لونا آخر من الصياغة الأدبية متمثلا فى النص الأوبرالى للمسرحية التى تحمل اسم (سالومى) التى أبدعها الإنجليزى الشهير أوسكار وايلد .

إن الأوبرا أرقى درجات فن المسرح الغنائى باعتبارها نصا شعريا مصحوبا بالموسيقى الرفيعة التى تعمق التعبير الدرامى ، وتصور الجو التأثرى العام

لأحداث المسرحية ، والحوار فيها ملحن فى غنائيات تنشد فرديا أو ثنائيا أو جماعيا .

إن مناهجنا الدراسية ، وصحفنا ومجلاتنا ، ومؤسسات السينما والمسرح والتلفاز و الراديو ، ومكتبة الأسرة (الوليد الشرعى لمهرجان القراءة للجميع) عليها أن تنشغل بهذه الأعمال الأدبية الثقافية الرفيعة التى جمعتها سلسلة (روائع الأدب العالمى) والتى أبدعها أشهر الكتاب باللغة العربية واللغات الحية الأخرى ، حتى نربى الناشئة والشباب على أعمال تنمى مواهبهم وتزكى نفوسهم ، وتفتح أمامهم نوافذ على ثقافات وقيم رفيعة ومثل عليا باعتبار أن الثقافة العالمية سمة العصر ، وأننا نتسلح بقيم التقدم وبقوة المعرفة ، لهندسة وتصنيع إنسان الألفية الثالثة ، ليفكر عالميا و يطبق محليا .

3 – معلومات عن كتب الأطفال العالمية :

قصص (ألف ليلة و ليلة) التى أسعدت العالم لا يصلح منها للصغار إلا : قصة علاء الدين والمصباح أو قصة على بابا والأربعين حرامى وبعض مغامرات السندباد ؛ لأن قصص ألف ليلة وليلة تمتاز بالطول المفرط والحكايات المركبة والمعقدة ، وهى لا تناسب عقلية الطفل وإدراكه ولكنها لمسامرة الكبار ومؤانستهم.

أول ما كتب من أدب أطفال فى العصر الحديث ظهر فى فرنسا أواخر القرن السابع عشر ، وظهر فى شكل ترجمة لكتاب ألف ليلة و ليلة .

كتب تشارلز بيرو الشاعر الفرنسى وهى مجموعة من القصص للأطفال سماها (حكايات أمى الإوزة) و(أقاصيص وحكايات الزمان الماضى) استمدها من حكايات الشعب الفرنسى .

ومن حكايات أمى الإوزة : حكاية الجنية وحكاية القط والحذاء الطويل واللحية الزرقاء والجمال النائم وسندريلا . وهى حكايات خيالية وهدفها التسلية والإمتاع والمؤانسة ، وترجمت هذه الحكايات إلى الإنجليزية والألمانية .

ظهرت 41 حكاية ألفتها النساء الفرنسيات أطلق عليها اسم (مجمع الجان) وكلها حكايات خرافية خيالية .

فى القرن الثامن عشر الميلادى وظهور الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو الذى كتب "كتابه "اميل لدراسة الطفل كشخص مستقل ، وكذلك بظهور جان لوك الإنجليزى 1632م بأفكاره العقلانية ظهرت قصص للأطفال محشوة بالتعليمات والإرشادات السلوكية ، وتجاهلت الخيال واهتمت بالأسباب والنتائج وامتلأت بالتربية الاستقلالية الطبيعية لرسو .

ظهرت أيضا فى فرنسا أول صحيفة للأطفال عام 1747م ، وسمى مؤلف هذه الصحيفة نفسه صديق الأطفال وأطلق هذا الاسم على الصحيفة . ونقل قصص الأطفال من البلاد الأخرى إلى الأطفال الفرنسيين . وكانت صحيفة صديق الأطفال أول مجلة فى تاريخ أدب الأطفال ، وأشبعت رغبة الأطفال فى القراءة المسلية والممتعة وإثراء الخيال بعيدا عن النصائح والإرشادات الأخلاقية والتعليمية.

فى إنجلترا فى القرنين 17 و 18 الميلادى ظهرت حكايات تهتم بالإصلاح والتهذيب تستخدم الأسلوب المباشر بعيدا عن الخيال والتسلية . ومن هذه القصص : (وصية لابن) ألفها فرانسيس أوزبورن 1636م وقصة (التحدث للأطفال) ألفها جيمس جينواى 1720م ، وكتاب (للبنين و البنات) ألفه جون بانيان ، و(والسجع الريفى للأطفال) و(الرموز المقدسة) لتعليم الأدب والأخلاق والدين وترغب فى الفضيلة .

ظهرت أيضا كتب دينية مع الحركة البروتستانتية تعلم الأطفال عن طريق التخويف من النار فى الآخرة . وكتب أخرى عن المواعظ و الحكم و الشعارات المنظومة ، وقد شجب جون لوك الفيلسوف البريطانى مثل هذه الكتب فى كتابه (آراء فى التربية) 1690م وطالب بأن يقرأ الأطفال قصصا عن خرافات (أيوب والثعلب رينارد) لأنها مسلية .

فى عام 1713م ظهرت حركة تهتم بالقصص الرومانسى بدأها جون نيويرى صاحب المكتبة الشهيرة باسمه ، والتى خصصها لكتب الأطفال وقصصه كانت تضم التوجيه والتسلية معا ، وكون فريقا من الكتاب يؤلفون ويبسطون ويختصرون كتب الكبار من قصص فيها متعة وتسلية للصغار مثل قصة روبنسون كروزو ألفها دانيل دى فو سنة 1719م ثم قصص (رحلات جاليفر) ألفها جوناثان سويفت 1726م . أخرج نيوبرى مائتى قصة تضم أساطير وحكايات شعبية نالت شهرة فى إنجلترا و أمريكا وهو بذلك يعد الأب الحقيقى لأدب الأطفال .

ظهرت بعد ذلك ماريا ادجورث 1767م كأحسن راوية لحكايات الأطفال وكتبت (الحكايات التهذيبية) ثم الكاتب تشارلز لامب فى 1824م حيث ترجمت (مجموعة الأخوين جريم) و (حكايات هانز آندرسون) فى 1841م وأليس فى بلاد العجائب فى 1865م ألفها لويس كارول ، وهى حكايات خرافية حديثة . فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر ظهرت حكايات خرافية للأطفال مثل (مجموعة موزويس) ، وهى حكايات شعبية وخرافية . ثم (مجموعة جوته) و ضمن حكاياته (الحكمة مع الخيال) ، ثم قدم يعقوب ووليم جريم حكايات الأطفال والبيوت وهى حكايات شعبية .

فى الدانمارك ظهر رائد أدب الأطفال فى أوروبا هانزكريستيان أندرسون فى 1805م وتميزت قصصه بالطابع الأسطورى ودارت حول الأشباح و الجنيات والعفاريت مثل : قصة (البطة القبيحة) ، (وفتاة المباراة الصغيرة) ، و(ثياب الإمبراطور الجديدة).

فى روسيا ظهرت حكايات شعبية معبرة عن عاداتهم و تقاليدهم تحت عنوان: (أساطير روسية) . وألف للأطفال الشاعر الروسى العظيم ألكسندر بوشكين قصيدته (حكاية الصياد والسمكة) ، ومكسيم جوركى الذى كتب للأطفال كتابا عن طفولته . ثم مايا كوفسكى الشاعر ، والذى كتب ١٦ مقطوعة للأطفال فيها القيم والبطولة.

وفى أمريكا ظهرت للأطفال كتب ومجلات وصحف و أفلام ومكتبات عامة للأطفال ، وفى النصف الثانى من القرن العشرين انطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبى فى جميع أنحاء العالم ، حيث بدأ العالم من جديد بعد حربين عالميتين ينشد السلام .

* * *